

زفة الميت

للاستاذ عريان سعد

لو أن هذه الكلمة تكتب في غير سنة ١٩٤٤ التي نضحت عليها دماء السنوات الأربع الماضية ، دماء القتل في كل بلد ومن كل سن ، والتي لا تزال تسيل فيها الدماء ، وتمصف فيها رياح الموت هوجاء فتذهب بالأرواح والأجساد .

لو أن هذه الكلمة تكتب في غير هذه السنة وعقب السنين السابقة التي نقرأ فيها أخبار الحرب فإذا كل يوم يموت آلاف الشبان لا يشيعهم إلى مقرهم الأخير أحد ، ثم تنتهي من قراءة أنباء هذه المجازر للنظر فإذا حشد كبير أو صغير يسير خلف ميت واحد لتشييعه ، لو أن هذه الكلمة تكتب في غير هذا الوقت الذي يشيع فيه ألف رجل ميتا واحدا ، بينما يدفن جندي واحد في الميدان الفا من القتل ، لما كان لها في النفس من الأثر ما لها الآن .

هذا أمر يثير في النفس احساسات لا تثيرها إلا المتناقضات شديدة التناقض . رجل عاش ثم مرض ثم مات ولست أتعرض لنوع حياته فكل ميت عزيز على أهله وأصدقائه يأسفون لفقده أشد الأسف ، ولكن ما الصلة بين أسفهم هذا لفقده وبين سيرهم خلف النعش الذي ينقل عليه الى قبره — سواء حملها الناس أو نقلتها عربة .

أهذا السير خلف الميت اعتراف من المشيعين بفضل الميت ؟ إلا ما أخصمه من اعتراف بالفضل وما أقصره ! ! أمير الشخص خلف عزيز عليه يكنى لأن يرى ذمته من كل حقوق ذلك الميت العزيز قبله .

أم السير خلف الميت تخليد لذكراه ؟ ! وأي تخليد يكون هذا إذا كانت الجنازة نفمها حادث عابر فإذا انتهت فكأنها لم تكن .

أم أنه بمثابة تكريم للميت وليس من المصلحة العامة في شيء أن تكون الطرق العامة مكانا لحفلات التكريم فتجن نعش في عصر السرعة أكبر مميزاته دأهم عوامله ولا يجوز أن تترك مصالح الناس تحت رحمة كل ميت يعطل حركتهم ويوقف سيرهم حتى يمر بموكبه حافلا أو غير حافلا .

ولست حين أطالب بإبطال تشيع الموتي في هذه المواقب التي أطلق عليها اسم الجنازات بمبتدع بدعة ولا مخترع جديدا ، إنما أنا أريد أن أسبق الزمن قليلا ، فاني أرى أن الجنازة تنشد مع الزمن أجزاء يأكلها التقدم واحترام الأمر الواقع وتقدير الأمور بقيمتها الحقيقية .

كانت الجنائز من جيل مضى أى من ثلاثين سنة تؤلف من اجزاء لا يمكن التهاون فى شئ منها ، كان يسبقها رجال البوليس يستأجرون بالمال لكل نوع ورتبة أجر ، ثم حملة القمام والأشبار ، ولا يزال البعض يعود الى استعمالهم ، ثم الرجال المشيعون ثم الميت ثم النساء .

لو أن جنازة سارت بغير هذا النظام فى ذلك الوقت لأثارت من النقد ما لا يطيقه أحد . نعم لو أن جنازة من الجنائز التى نراها الآن سارت من أربعين سنة مثلا لكانت تخزية البلد الذى تسميه فيه .

إذن فالجنازة كلما تقدم الزمن أكل جزءا منها كما رأينا ، فلم لا نجهز نحن على الجزء الباقى منها وننتهى من هذه البدعة بدل أن تركها للزمن يأكلها رويدا رويدا ؟

ولم لا ينقل الميت من داره الى حيث يصل عليه فى سيارة كما ينقل من المسجد الى القبر أو من الكنيسة الى القبر ؟ وما قيمة هذا الجمع يسير خلف الميت بعد أن يكون قد جمع بالإعلان عنه وعن صلة فلان وفلان وقرابته البعيدة لفلان والغرض من ذلك الاعلان كله أن يأتى من لا يعرف الميت ومن لم يره فى حياته لأجل خاطر هذا الفلان أو ذلك ليشارك فى الجنازة ، فتكون جنازة تناسب مقام الأسرة — كما يقولون .

لقد تخلصنا من زفة العريس وزفة العروسة وزفة المطاهر ، فهل آن أن ننتهى من زفة الميت ؟ فان اتينا منها فسرى فى الوفيات التى تنشرها الصحف تغييرا يلفت النظر ، سرى الميت ينعى فلا يذكر الا والده إن كان له والد وأولاده إن كان له أولاد ، فان لم يكن نواه إخوته دون ذكر ذلك الجيش من الأقارب الذين تختار أسماءهم اختيارا لجمع المشيعين بل وربما عدل عن النعى اطلاقا ، إن الزمن الذى قضى على ليالى المأتم الثلاث وقصر الأمر على تشييع الجنازة سيقضى على الجنازة نفسها حتما ، فلم لا نسبقه ولم لا تحظر الحكومة سير الجنائز أو على الأقل تشير بالاقلاع عنها ؟ فيقطع عنها الناس فلا تتعطل المصالح لا لسبب الا لأن جنازة تعترض الطرق وتقطع على الناس سيرهم . فاذا كان الانسان الحى لا يملك تعطيل حركة المرور فأولى بالميت ألا يملك ذلك الحق .

عريان سعد